

نفحات القرآن

[326] وإِذْ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنّٗ يَشَاءُ ۚ وَإِذْ هَبَّ سَيْحُ عِٰلِمِٔيۡنَا ۚ عَلٰٓى كُلِّ مَنۡٓ قَدِيرٌ . وَعَلِيهٖ فَاَنۡهٗ لَا يَكُوۡنُ حَاكِمًا ۚ تَكُوۡنِيۡنَا ۚ عَلٰٓى عَالَمِ الْوُجُوۡدِ فَحَسَبَ ۚ بَلْ اِنَّ الْحَاكِمِيۡةَ الْقَانُوۡنِيۡةَ وَالتَّشْرِيعِيۡةَ عَلٰٓى الْمَجْمَعِ الْبَشَرِيّٖ هِيَ لِذَاتِهِ الْمَقْدَرُۃُ وَيَمْنَحُهَا لِمَنۡ يَّشَاءُ وَاَنۡ كَانَتِ اِرَادَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ قَائِمَةً عَلٰٓى اَسَاسِ الْاَهْلِيۡةِ وَاللِّيَاقَةِ . * * * الْآيَةُ الْخَامِسَةُ تَبَيَّنَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي اِطَارٍ جَدِيدٍ ۚ فَبَعْدَ بَيَانِ حَاكِمِيۡةِ اٰلِ عَلٰٓى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَنِظَامِ النُّوْرِ وَالظُّلُمِ تَسْتَنْتِجُ بِهَذَا النُّحُوۡ بِقَوْلِهَا : (ذٰلِكُمۡ آِنۡ رَبُّكُمۡ) (لَهٗ الْمُلْكُ) . فِي حِيۡنٍ لَيْسَ لِلْمَعْبُوۡدَاتِ مِنْ دُوۡنِهِ حَاكِمِيۡةٌ وَلَا مَالِكِيۡةٌ حَتّٰى يَحْجُمَ الْغَشَاءُ الرَّقِيۡقُ الَّذِي يَغْلَافُ نَوَى التَّمْرِ (وَاللّٰذِيۡنَ تَدَّعُوۡنَ مِنْۢ دُوۡنِهِۦ مَا يَمْلِكُوۡنَ مِنْۢ قِطۡمِۡرٍ) . وَقَدْ ذَكَرَ الْمَفْسَّرُونَ وَاللُّغَوِيُّونَ مَعَانِيَّ مُخْتَلِفَةً لِّلْكَلِمَةِ قِطْمِيرٌ ۚ اَشْهَرُهَا هُوَ الْغَشَاءُ الرَّقِيۡقُ الَّذِي يَفْصِلُ النَّوَى عَنِ التَّمْرِ . وَقَدْ فَسَّرَهُ الْبَعْضُ بِأَنَّهُ يَعْنِي التَّجَوُّفَ الْاَبْيَضَ الصَّغِيرَ الَّذِي يُوۡجَدُ عَلٰٓى ظَهْرِ النَّوَى وَيَنْمُوۡ مِنْهُ نَبَاتُ التَّمْرِ ۚ وَفَسَّرَهُ الْبَعْضُ بِأَنَّهُ رَأْسُ التَّمْرَةِ ۚ وَفَسَّرَهُ بَعْضٌ آخَرَ بِمَعْنَى الشَّقِّ الْمَوْجُوۡدِ عَلٰٓى بَطْنِ النَّوَى ۚ أَوْ بِمَعْنَى النَّطْفَةِ الْحَيَّةِ الْمَوْجُوۡدَةِ فِي بَطْنِ النَّوَى . تَرْتَبِطُ هَذِهِ الْمَعَانِ الْخَمْسَةُ بِنَوَى التَّمْرِ الَّتِي كَانَتْ فِي مَتَنَاوِلِ الْعَرَبِ ۚ وَهَنَّاكَ تَفْسِيرٌ آخَرَ ذَكَرَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَهُوَ غَشَاءُ الْبَصْلِ ۚ وَلَكِنِ الْأَشْهَرُ كَمَا ذَكَرْنَا - هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ وَعَلٰٓى كُلِّ حَالٍ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّيْءِ الصَّغِيرِ وَالتَّافِهِ الَّذِي لَا يُؤْبَهُ لَهُ (1) . _____ 1 - رَاجِعْ مَجْمَعَ الْبَيَانِ ۚ رُوحُ الْمَعَانِي ۚ الْقُرْطُبِيُّ ۚ تَفْسِيرُ الْمِيزَانِ ۚ تَفْسِيرُ الْمِرَاغِيِّ ۚ مَفْرَدَاتُ الرَّاغِبِ ۚ لِسَانُ الْعَرَبِ وَمَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ .